

قسم التاريخ
الأستاذة : قاسي فريدة

المستوى : سنة ثانية تاريخ عام
السداسي الثاني

محاضرات في مقياس تاريخ الجزائر الثقافي (العهد الفرنسي)

محاوور المقياس:

1- المرجعيات الثقافية الفرنسية

أ- الديانة المسيحية

ب- المرجعية الرومانية

ج- التأصيل لرموز الثقافة الفرنسية

2- المجتمع الجزائري والهوية الثقافية الجديدة

أ- التأثيرات الثقافية

ب- التأثيرات الاجتماعية

3- العمران الفرنسي لمدينة قسنطينة أنموذجا

المحور الأول: المرجعيات الثقافية الفرنسية

أ- الديانة المسيحية :

وظفت فرنسا الايديولوجية الدينية فمثلت المسيحية حليفا استراتيجيا للاستعمار الفرنسي في استهداف مقومات المجتمع الجزائري الثقافية و الروحية كتمهيد لفرنسته وتمسيحه واسترجاع أيام القديس أوغسطينوس و كبريانوس ، ففي نظر الساسة الفرنسيين أن الدين المسيحي قادر اليوم على ضم شعوب شمال إفريقيا وصيرورتها شعبا واحدا .

وبالتالي ففرنسا انطلقت من قاعدة أن الاسلام في افريقيا يعتبر عدوا لفرنسا و للحضارة وللكنيسة ولا مهادنة معه، ولهذا جاء قول دي بورمون " إن فتح أو غزو الجزائر لصالح المسيحية كلها " لقد جددتم عهد الصليبيين .

ولكي تنتقل المرجعية الدينية من الاعتقاد إلى الفعل قامت فرنسا بتأسيس دور العبادة (الكنائس) في المدن الجزائرية : بونة ، شرشال ، القليعة ، بوفاريك. فقد رخص للمهندس ديبييه بإنجاز المعابد ففي رأيه المعبد هو الرمز الأكثر نجاعة لهيمنتنا.

يقول دوبوش في حوار مع الجنرال بيجو سنة 1844م " ماذا جننا نعمل في افريقيا " فأجبت " لكي نواصل العمل الذي بدأه غود فروا و لويس السابع و سان لويس " ثم أنهى حديثه مخاطبا بيجو " إن الحرب التي تقوم بها في افريقيا إنما هي حلقة من حلقات الحروب الصليبية". وهدف فرنسا من هذا كله هو طبع الجزائر على ما كانت عليه قبل الفتح الإسلامي على- حد تعبيرهم- بإعادة تفعيل إرث الأسلاف بعد قطيعة دامت 12 قرنا تحت شعار " إن الصليبية اللينة و السلمية تساهم في نشر لغتنا و حضارتنا وتأثيرنا في كل مكان " .

ب- المرجعية الرومانية:

لجأ الممثل الفرنسي إلى الاستعانة بعلم الآثار الكلاسيكي للتنقيب على اثار مادية وإلقاء الضوء على كل ما له علاقة بالماضي الناصع اللاتيني المسيحي لافريقيا من خلال معرفة تاريخية للمنطقة وحضارية، وكان القصد بعث حضارة الرومان (الاسلاف) ليكون هناك توازي في العمل بين ما تركته روما وما سيحدثه الاحتلال الفرنسي في الجزائر .

يقول لامارتين 1790-1869 : " ان الجزائر تركة مجيدة تركتها لنا الحكومة السابقة (اي الاتراك) وهي تذكار نبيل قدموه لفرنسا " .

أما لويس برتران : " نحن عندما دخلنا الى افريقيا لم نعمل شيئا سوى استعادة ولاية فقدناها منذ عصور الرومان... ونحن كورثة روما نطالب بحقنا -الذي وجد قبل الاسلام- هذا الأثر الرمزي لهذه البلاد ليس المسجد إنما القوس والنصر" .

ثم يتساءل: " أيحط من قدر الجزائري أن يذكر بأصله الروماني؟ " . أما الجنرال فور بيجي فقد ثمن النقوش اللاتينية التي تم اكتشافها وذكر أن العرب عندما يشاهدونها نقرأ الحروف اللاتينية الرومانية مثل قراءتنا لحروف لغتنا سيقنعون أن هذه المعالم الفنية العظيمة التي نذكك رموزها هي من أعمالنا الخاصة ، ويعتقدون أن مجيئنا إلى افريقيا هو إسترجاع لملك غابر كان لنا و إغتصب منا من طرف أجدادهم .

-إن الآثار الباقية في نظر الفرنسيين- و المتواجدة على أرض الجزائر هي التي تسمح بربطها ماديا بالعالم اللاتيني وتسهل تماثل الحضارات الممكن تطويره على ضفتي المتوسط.

وكانت أهم وسيلة للتعرف على الارث الروماني بالمدن الجزائرية هو تأسيس الجمعيات العالمية وفي مقدمتها الجمعية الحرفية بمدينة قسنطينة،

وهي الاولى من نوعها في افريقيا الشمالية ،هدفها جمع ووصف الثراء العلمي لهذه البلاد ، ففي رسالة المارشال راندون إلى بيار بروجر المؤرخة في 6جويلية 1855 عبر فيها عن أمله في انشاء المزيد من الجمعيات الاثرية والجغرافية قائلا: " إن تاريخ الاحتلال الروماني سيبرز واضحا و منسجما من خلال هذه البحوث العلمية التي ستزودنا عبر دراسة الماضي بمعلومات ذات قيمة حاضرا ومستقبلا".

وعلى إثر ذلك تأسست الجمعية الجزائرية التاريخية وأسندت رئاستها لبيار بروجر الذي أنشأ المجلة الإفريقية (و كان من أهم ما أنجزه دي سلان أحد أعضاء الجمعية ومحرري الجمعية أعمال تتعلق بلغة البربر والجغرافيا القديمة لموريتانيا وترجمة كتاب ابن خلدون .

وفي سنة 1852 تأسست الجمعية الأثرية بقسنطينة التي لعبت دورا أساسيا في التعريف بالتراث اللاتيني للمدينة و نواحيها وكانت هذه الجمعية هي النواة الأساسية لمتحف مدينة قسنطينة الذي اتخذ من مبنى (رحبة الجمال) مقرا له سنة 1853 حيث جمعت عدة نقائش وأشياء أثرية عثر عليها في اشغال بناء القصبية الفرنسية ، كما اقتنى المتحف الجديد مجموعة أثرية ثمينة جمعها لازار كوستا وعملت الجمعية بقيادة الكولونيل كرولي على غرس النقائش التذكارية اللاتينية في سوق القصبية الخارجي (وهي مازالت الى يومنا هذا).

لقد اكتسبت البقايا الأثرية دورا ايديولوجيا أساسيا يراد به ربط الجزائر بماضيها الروماني مثلما صرح ألكسندر مليون : " إن العودة للمعلم أصبح انشغالا للحاضر " .

وكان السير على خطى الأسلاف (من خلال الاثار الرومانية المستكشفة) هو السبيل لتثبيت الوجود الفرنسي في الجزائر وهو ما صرح به وزير التعليم العمومي الفرنسي سنة 1862: " إن هذا الشعب أي الروماني يمجد التملك كما يجيد الاحتفاظ ، وما دمنا على خطى موروثه ، يجب علينا القيام بدراسة جيدة حول كيفية نجاحه في هذا الامتلاك بقوة".

جـ التأسيس لرموز الثقافة الفرنسية في الجزائر:

لقد كان شعار الفرنسيين عندما غزو الجزائر " هو التغلب على همجية المسلمين " مثلما فعل أسلافهم الرومان ضد سكان المنطقة من أجل اخلال الأمن ونشر الحضارة في افريقيا القديمة.

لذلك احتلت المعالم الرومانية مكانة مقدسة كأنها نداء الأسلاف لإحياء وبعث المهمة الحضارية على هذه الأرض البربرية وحسب الفرنسيين فإن وضع الجزائر قبل الغزو تميز ب " اللادولة ، انها بلاد قاسية وشعب يهوى الحرب، ولم يسبق أن روضه أحد أبدا انه مجتمع دون بنية رغم قرب افريقيا من أوروبا وقد ظلت الى غاية القرن 19م منطقة غريبة عجيبة ، إنها نوع من الصين المتوسطي.

يقول الفرنسيون هذا يدفعنا الى امتلاك شمال القارة الإفريقية أولا وتشكيلها على النمط الفرنسي ثانيا.

المحور الثاني: المجتمع الجزائري والهوية الثقافية الجديدة

عندما نتكلم عن النموذج الفرنسي بالجزائر ، يمكن حصره في عدة جوانب : فهو ينتمي إلى كيان جغرافي (أوروبا) وصاحب ديانة هي (المسيحية) ، وله فلسفة خاصة هي (التنوير والحداثة)، وضمن إثنية (العرق الأبيض) و الإشكال المطروح ماهي أهم التأثيرات الاجتماعية والثقافية لهذا النموذج على المجتمع الجزائري ؟

أ-التأثيرات الثقافية:

1-فرنسة المجتمع الجزائري:

أدركت الإدارة الإستعمارية الفرنسية أن علاقة المجتمع الجزائري باللغة العربية تمتد إلى الهوية العربية الإسلامية مما جعلها تخطط للنيل من هذا الإنتماء ومن هذا التواصل التاريخي لأفراد المجتمع الجزائري مع حضارتهم وتاريخهم الإسلامي، وذلك بالعمل على تمكين اللغة الفرنسية من التعامل بين الجزائريين وهذا عن طريق المؤسسات الإدارية حيث فتح الفرنسيون مدارس للغة الفرنسية ، وحاولوا استمالة السكان الأهالي اليها بهدف دمج المجتمع الجزائري المسلم في المجتمع الفرنسي، وجاء في أحد التقارير التي وضعت سنة 1874: " أن الجزائر لن تكون حقيقة من الممتلكات الفرنسية إلا عندما تصبح لغتنا الفرنسية لغة قومية فيها ، وحتى تتأقلم فيها الفنون والعلوم التي يقوم عليها مجد بلادنا ، والعمل الجبار الذي يتحتم علينا انجازه هو السعي وراء جعل الفرنسية اللغة الدارجة بين الأهالي إلى أن تقوم مقام العربية تدريجيا

وهو السبيل لاستمالتهم إلينا وتمثيلهم بنا، ومتى كانت اللغة الفرنسية لغة السلطة و الإدارة، فإنها لا تلبث أن تنتشر بين الأهالي ، ولاسيما إذا وجدت مدارسنا إقبالاً من الجيل الجديد".

لقد كان الاستعمار الفرنسي يراهن على تخريج نخب علمانية تعكس الرؤى الغربية للحياة الثقافية و الاجتماعية الجزائرية، وهكذا حاصرت كل ما يمت بصلة إلى الاسلام عقيدة وشرعية ، ثقافة وسلوكا.

لقد استُخدمت المنظومة التربوية الفرنسية في تشكيل الانسان الجزائري في أصوله وتوظيف الأساليب العلمية الحديثة للحط من قيمة كل ما هو عربي إسلامي حتى ينشأ الطفل الجزائري لا يعرف من القوة والعظمة والتفوق والعدل والحق إلا فرنسا والغرب الأوروبي.

وكان الهدف الأساسي من المدرسة الفرنسية في الجزائر تحقيق سيادة اللغة الفرنسية على مختلف اللغات الحية بما فيها اللغة العربية وفي هذا يقول ألفرد رامبون -وزير التعليم في عهد الجمهورية الثالثة- " لقد مر الاحتلال الفرنسي للجزائر بمراحل ثلاثة ، وكانت المرحلة الثالثة قد تمت عبر المدرسة التي يتوجب عليها تأمين سيادة لغتنا على مختلف اللغات الحية، ومحاولة اقناع الجزائريين المسلمين بأن فرنسا قد سارعت في القضاء على الجهل والأفكار المتعصبة، واستبدالها بمفاهيم أولية واضحة مستوحاة من الفكر الأوروبي.

إذن كان الهدف القضاء على مصادر الثقافة الوطنية ووسائلها ومسح الثقافة الأم والإساءة اليها وتحقيرها في نفوس الجزائريين، الأمر الذي يولد فيهم عقدة النقص تجاه فرنسا وثقافتها نتيجة اللبس الحاصل في مداركهم نتيجة التشكيك والتشويه لمقوماتهم، والمغالطات التي قدمتها المنظومة التربوية الفرنسية و التي كان من أهم منطلقاتها :

*التنكر للذات (الجزائرية والعربية الاسلامية) .

*الاعجاب بفرنسا .

*الاحاد والتشكيك في الاسلام دين وثقافة وحضارة.

*الصراع الفكري الذي سينشأ لدى النخبة المثقفة ثقافة الفرنسية من أبناء الجزائريين من كراهية الذات والاعجاب بالآخر.

*خلق مركب النقص والخجل بالانتماء الاجتماعي الجزائري امام فرنسا والفرنسيين.

من جهة أخرى رسمت عدة أهداف من أجل انتزاع شخصية الجزائري ومحو الذهنية العربية، وكل ما يتعلق بالمشاعر والانتساب والعروبة وهذه الاهداف تتمثل فيما يلي:

*التعائش الثقافي.

*الانسلاخ الثقافي.

*إقصاء الاسلام فكرا وسلوكا ومشاعرا ونظاما للعلاقات ومنهج حياة.

*الردة الدينية.

*التقليد والاندماج في الثقافة الفرنسية .

الخلاصة أن المدرسة الفرنسية كانت الوسيلة لتحقيق فرنسة الاهالي وإدماجهم في المنظومة الاجتماعية والثقافية الفرنسية منذ أواخر القرن 19م، وكانت المضامين الحضارية والقيمية علمانية معادية لقيم المجتمع الجزائري وهويته .

عملت صحف الادارة الاستعمارية والمستوطنين -بعد ظهورها أول مرة كمظهر ثقافي جديد في المجتمع الجزائري- على تشويه الثقافة الجزائرية العربية الاسلامية والحط من شأنها ، وبالمقابل بث فكرة انتماء الجزائر والبربر إلى العالم الغربي أو اللاتينية المسيحية ، كما كان شأن:

"رسالة قسنطينة La depeche de constantine"

الرسالة الجزائرية "la depeche algerienne"

صوت المستوطنين "voix des colons" ، إضافة إلى المجلة التي أنشأها "Louis Bertnard"

إفريقيا اللاتينية "l'afrique latine"

نشرية "الاتحاد الكاثوليكي الاهلي l'union catholique indigene" للأباء البيض

المجلة العتيدة في الجزائر "المجلة الافريقية La revue africaine"

و كانت هذه الجرائد و المجلات و النشريات نافذة للمثقفين الجزائريين يطلعون من خلالها على المفاهيم والقيم العصرية ك:

التقدم ، **النهضة** ، **الحرية** خاصة وأن من هذه الصحف والمجلات ما كان يحمل أسماء رمزية خادعة وملهمة تمثل قيما عليا مثل :

جريدة "التقدم" القسنطينية "progrés de constantine" .

جريدة "اليقظة/المنبه" "Le reveil de setif" .

كما لعبت الصحافة الاهلية باللسان الفرنسي دورا مماثلا تقريبا وقد أخذت التجربة الصحفية عن المدرسة الصحفية الفرنسية، فأنشأت صحفا خاصة بها باللغة الفرنسية خاصة صحيفتي :

"صوت المستضعفين" "la voix des humbles" -قسنطينة (1922-1939م) الشهرية ثم نصف الشهرية الناطقة باسم

"جمعية المدرسين من أصل أهلي بالجزائر" تحت شعار "من أجل ترقية الاهالي بالثقافة الفرنسية" .

أما صحيفة "صوت الاهالي" "La voix indigene" قسنطينة (1929-1941م) الناطقة باسم "الاتحاد الفرنسي-

الاسلامي" مؤسسها رابح زناتي "L'union Franco- musulmane" التي ظلت تدافع بلا كلل عن الادمج وقيم المدرسة اللاتينية الفرنسية إضافة إلى صحيفة "التقدم" -Attaqaddoum- للدكتور بن التهامي (1921-1924م) ،

وصحيفة "الوفاق الفرنسي الاسلامي" "L'entente franco-musulmane" (1933-1939م) لصاحبها فرحات عباس .

لقد أدى ظهور الصحافة الفرنسية والصحافة الاهلية الفرنكفونية إلى طرح مفاهيم فكرية جديدة على مستوى الساحة الجزائرية وظهور قيم عصرية جديدة كالتقدم والنهضة والترقي في مصاف العلوم والمدنية والأخذ من حضارة الغرب (المتفوقة تقنيا وصناعيا) ، فكانت هذه الوسيلة الاعلامية أوعية وأدوات فعالة لاحتضان وبث -في الوقت ذاته- إيديولوجيات الغرب الأوروبي ومذاهبه.

ب-التأثيرات الاجتماعية:

أولا: العادات والتقاليد الفرنسية

لقد وجد المستعمر الفرنسي قوة تماسك المجتمع الجزائري رغم تخلفه -على حد زعمه- ورأى أن السر في ذلك راجع إلى تمسكه بعباداته وتقاليده من تراحم وتآخي وتآزر بين مختلف عناصره وشيوع الحياء والعفة والامن والطمأنينة، والتي ترجع في أساسها الى أحكام الشريعة الاسلامية وتعاليم الدين الحنيف ، فعمد إلى إجراءات إلى إلغاء هذه الاحكام وطمس هذه التعاليم السامية ، وهذا في مجال الاحوال الشخصية من أجل بداية هدم الاسرة الجزائرية لإضعاف تماسكها على أساس أن الاسرة هي الخلية التي تتجلى فيها قوة شبكة العلاقات الاجتماعية .

وقد بيّن قرار محكمة الجزائر في 24 فيفري 1862م ذلك ومما جاء فيه:

"أن التمتع بصلاحيات المواطن الفرنسي لا تتماشى مع احتفاظ المسلم بقانون أحواله الشخصية وأحكامه المتناقضة مع قوانينها وعاداتها فيما يتعلق بالزواج والطلاق والحالة المدنية للأطفال".

هذا من جهة ، من جهة أخرى ركّز على العادات الجزائرية من مأكّل ومشرب ومجالات الترفيه عن طريق إدخال العادات الأوروبية وتشجيعه لممارستها.

لقد تغلغت أساليب الحياة الاجتماعية الفرنسية في الأزياء والطعام والشراب و الاحتفالات والألعاب والتأثير وترتيب البيوت في الوسط الجزائري المسلم ، وفي سياق الحدّثة الأوروبية ، ومستّ خاصة الجهات الحضرية :

1- الأزياء :

للأزياء قيمة وقائية وأخلاقية وجمالية واجتماعية إذ تسيع على المرء طابع هويته فتزيد من قيمته أو تحط من قدره -في نظر المجتمع-.

وذكر **مالك بن نبي** أن الملابس من بين العوامل التي يباط بها التوازن الاخلاقي في أي مجتمع لأن اللباس يضفي على صاحبه قيمته الروحية. وكانت ملابس الجزائريين قبل تأثرهم بالازياء الأوروبية فضفاضة منسوجة وغير مزرّرة، ثم اتخذوا ملابس ضيقة مخيطة مزرّرة (قصيرة بالنسبة للنساء).

وقد أولى الفرنسيون عناية كبيرة للأزياء الأوروبية واعتبروها قيمة جوهرية مطلقة ، لكن رغم محاولة فرض الزيّ الفرنسي على الجزائريين إلا أنه سار بوتيرة محدودة جدا و اختص بالفئة المتعلمة (ذات ثقافة فرنسية)، أو أبناء الموظفين في الادارات الفرنسية ، أو بعض العائلات المرموقة في المدن والحواطر ، لأن عامة الشعب يعاني الفقر والامية وبالتالي عدم تناسب البيئة العمرانية الجوارية والمنزلية (الاكواخ القصديرية) مع استعمال الازياء الجديدة.

ومع ذلك فقد انتشر التأثير بالزي الفرنسي وتجلّى لدى الرجال في حلق أو تهذيب اللحية ،نزع أو تخفيف غطاء الرأس ، واتخاذ ربطة العنق والبذلة الأوروبية إضافة إلى النظافة والنظام والمجالس والاحتفالات ، يقول **عبد الحفيظ بن الهاشمي** في مقال له بجريدة "**النجاح**" **21 أفريل 1929م** : " لو يفهم بالملابس التي تجلب من أمريكا وإنجلترا، فتخلوا عن الحذاء والطربوش الاهلّيتين...فاستبدلوا بها أزياء لامود والسعي بالكوستيم والسيجارة".

وكانت القبعة الأوروبية من أهم عناوين التحديث الأوروبي إضافة إلى البرنيطة (Beret) ،والتي أثارت جدلا واسعا ليس في الجزائر فحسب بل في العالم الإسلامي (مصر، تركيا، الهند)، وقد أنكر **عبد الحميد ابن باديس** لبس القبعة في كل زمان ومكان بلا اشتراط ولا استثناء، وكانت المقولة الشائعة "خواجة طيبة، بتاع البرنيطة".

2- الخمر والقمار والدخان وسائر الأفات الاجتماعية:

فقد كثر الجلوس بالحنانات ، والرقص بالحفلات ، واستعمل الجزائريون الدّخان وأصبحوا يرتادون المقاهي الأوروبية بشكل واسع، كما انتشرت عادة القمار والرّهان كما انتشرت بعض مظاهر الفجور بفعل الاجناس الأوروبية المختلفة والمنافية للحياء والعفة.

3- النظافة والنظام:

لقد تأثر الجزائريون بالمدينة الفرنسية وأعجبوا بجوانب التهذيب والرفقة واللباقة والنظام والنظافة، حتّى أن ابن باديس عبّر عن تقديره لذلك واعترف بجميل هذا السلوك في هذه الحضارة الوافدة، كما أشاد بالنظام البلدي الاوروبي وعنايته بالنظافة العامة، وحثّ الجزائريين أن يهتموا بدورهم بنظافة الأبنية، وعدم إلقاء القاذورات في الساحات حتى لا يصفهم الفرنسيون بالفقارة والخمول، فدعاهم إلى التزام النظام والعمل وحسن الهذام.

4-الملاهي والاحتفالات:

زخرت أدبيات الثقافة الفرنسية "بالتبذّل والتهتك" في المجال الاخلاقي وتجلّى هذا في الملاهي واختيار ملكات الجمال، والزواج العصري، الاحتفالات برأس السنة الميلادية، وقد علّقت الحركة الاصلاحية في مقال لها بـ **جريدة الشهاب 1933م** حول انتخاب ملكة جمال العالم: "فهي من سيّئات الحضارة الغربية وموبقاتها، فهذا يغري البنات بالتبرج والإسراف وهو أمر يستغلّه باعة الملابس، ودور السينما استغلالا ماديا..".

5-المرأة والثقافة الفرنسية:

لقد كان وضع المرأة الجزائرية مزريا عبر الأرياف خاصة بسبب غياب الوازع الديني نتيجة انتشار الجهل والبدع والشعوذة والتي غدته المؤسسة الطرقية، مع ذلك فإن نساء المدن تأثروا باللباس الفرنسي ونزعوا الملاية والحايك، وتلقبوا بـ "madame" و "mademoiselle" كما ارتدنا دور السينما والمسارح، وأوجدوا في بيوتهن أثاثا أوروبيا (الصيوانات (Garde-robés)، وحرصوا على تربية أولادهم على الطريقة الفرنسية، يقول البشير الابراهيمي: "نرى الواحدة منهم تعني بوحدها في ميقات مكتب التعليم الفرنسي، فتحافظ على الوقت بالدقيقة، وترجّل شعره وتغسل أطرافه وتنظّف ملابسه أمّا في ميقات المدرسة العربية فترسله أشعثا مغبراً، مختلّ الهندمة متأخرا عن الوقت لأنها سخرته في أغراضها، أو مقدما عنه لتستريح من شيطنته".

وما نستخلصه بالنسبة للتأثير الاجتماعي الفرنسي في المجتمع الجزائري :

*تفرنس أبناء بعض العائلات الكبيرة (بوطالب، لفقون، ابن الموهوب، أولاد سيدي الشيخ، التيجاني...).

*هشاشة المجتمع الجزائري وضعف التزامه بالدين الاسلامي، وغياب التضامن الاجتماعي وسيادة الحسد والخلاف بين الأسر وظهور جرائم القتال وغيرها من الآفات.

*انتشار اللسان الفرنسي بين أفراد المجتمع الجزائري، واصبحت حياة المدن تتباهى بالنماذج الاوروبية.

*انتشار الكوخ القصديري (القربي) في الاحياء الجزائرية إضافة إلى البطالة والفقر والأمراض الفتاكة (يوجد مليون خمّاس عشية الحرب العالمية الأولى).

*إعراض الجزائريين عن العمل والزهد فيه وتواضع مساهمتهم في الاعمال الخيرية والاصلاحية، فالطبقة العريضة من المجتمع الجزائري فقراء مع ذلك فما يحصلون عليه من مال ينفقونه على التبغ والدخان وفي اللهو والقمار وشرب الخمر، كذلك انغماسهم في البدع وتأخرهم عن منافسة الفرنسيين، ممّا أدّى إلى ركود المؤسسات الثقافية والاجتماعية، وانقطاع الأعمال الخيرية.

ملاحظة:

بالنسبة للبدع فكان في إنفاقهم الأموال في عمارة أضرحة الأولياء ، وضيافة مشايخ الطرقيّة والزردات و غير ذلك.

3- العمران الفرنسي لمدينة قسنطينة أنموذجا :

لقد عمل المستعمر الفرنسي على إرساء عمارة ذات نمط أوروبي، يقول "بورتويل أرزان": "إنَّ رغبتنا الكبيرة أن نجعل الجزائر مدينة أوروبية لكي يصعب التعرف على غزونا بعد مرور أربعة عشر عاما".

وسأخذ كنموذج لهذا النمط العمراني الجديد مدينة قسنطينة حيث بدأت الهندسة العسكرية الفرنسية في القيام بأعمال عمرانية غيّرت لمدة نصف قرن وجه المدينة كليًا.

فقد بدأت الأشغال بإزالة حصن "كدية عاتي" (القديم جدًا)، في بداية 1860م في إطار بناء حيّ إداري جديد (الكدية اليوم)، ثم قامت السلطات بشقّ الشوارع فقد تمّ شقّ الشارع الامبراطوري الذي تحوّل فيما بعد إلى الشارع الوطني "rue nationale" (طريق الجديدة حاليًا). كما قامت بتسوية وتوسيع جميع الرّحبات القسنطينية خصوصاً رحبة الجمال (Placedes chameaux)، وسوق العصر (Place negrier) وبدأت عملية تبليط هذه الساحات والشوارع الأولى التي اكتملت في القسم العلوي من المدينة.

كما تمّ بناء شوارع جديدة ورفع بنايات (عمارات) بحيّين رئيسيين هما "seant jean" و "Faubourd seant antoine" والمحيطان بالكدية حاليًا.

وتمّت تهيئة الطرقات والأحياء بهذين الحيزين بعد سنة 1868م، ويتوسع شارع "دو فلوري" "rue de floury" هذه التوسعة الجديدة وهو شارع "عبان رمضان" "pyramides" حاليًا.

كما قامت الجماعة اليهودية ببناء الكنيس الكبير (1875م) في المنطقة الواقعة بين الشارع وسوق العصر، كما تمّ إنشاء دار البلدية (متواجدة حاليًا في القصبة) على عهد "Emile morinaut"، إضافة إلى ساحة "la breche"، والبريد المركزي "la grande poste" (1906-1908م)، وقصر العدالة (1914-1918م) بعد تحويل المكان من مستودع حبوب الجيش (سابقًا)، كما بنيت دار بنك الجزائر (1923-1926م)، وأخيرًا هدم سوق الحبوب المغطى (على العهد العثماني) وبيع أرضيته إلى "André çitroen" التي بنى عليها مستودع كبير حمل اسمه "Garage çitroen" سنتي (1933-1934م)، وقد حوّل إلى مركّب محمد العيد آل خليفة حاليًا.

إضافة إلى استحداث أحياء جديدة خاصّة بالمستوطنين بعماراتها الشاهقة كحيّ "السيلوك" (çilloc)، "المنظر الجميل" (bellevue)، عمارات "الهواء الجميل" (Bel air).

وبالنسبة للجزائريين الذين طردوا من المنطقة العليا لقسنطينة، فقد بنوا أكواخا قصديرية أسفل الكدية والتي عرفت باسم "بني الرماسي" (les bénis ramassis) وهي ما تعرف حاليًا بمنطقة الريميس (تحت قنطرة سيدي راشد)، كما لا ننسى "المذابح" (à battoires) بشارع "باردو" (1904م).

كما قامت السلطات الفرنسية بشقّ الجسور في مدينة قسنطينة وشقّ خطوط السكة الحديدية، فكانت أشغال إنشاء محطة القطار قرب "باب القنطرة" حاليًا وحفر نفق سيدي مسيد وبناء المحطة ومدّ خطوط السكة الحديدية إلى غاية سكيكدة.

و بالنسبة للجسور فقد أشرف "إميل مورينو" على بناء جسور حجريّة وفولاذيّة معلقة وهي جسر سيدي مسيد (1909-1912م)، وسيدي راشد (1908-1912م)، إضافة إلى الجسر المعلق الذي قام بإنجازه "فرديناند أرنوردان" "قنطرة الحبال" حاليًا يربط وسط المدينة بمحطة القطار، وقد بدأ السير عليه في 12 أفريل 1925م.

إضافة إلى منشآت عمرانية متنوعة بالمدينة مثل ثانوية "الحرية"، متحف "Gustaves mercié" -سيرتا حاليًا-، ملعب "Turpin" العسكري (1920م) -بن عبد المالك حاليًا-، وفتح الإخوة "اليميار" قاعة عرض للسينما الفوتوغرافية سنة 1897م، إضافة إلى قاعة السينما قرب باب الجابية (سينما الرمال حاليًا)، وقد احتفظت باسمها إلى يومنا هذا وهذا من طرف "Casino numez"، ملعب الفروسية (Hippodrome) 1950م بحيّ الدقسي حاليًا، مطار عين الباي (1957م)،

وأخيرا "ساحة الهرم" (Place de pyramide) –المدافع حاليا-، تخليدا لروح الجنرال "دام ريمون" الذي سقط قتيلًا في معركة قسنطينة الثانية.